الأرمن والدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤– ١٩١٨م)

صبري أبو الحمد عبد الرحمن محمد (*)

المقدمة:

تعد القضية الأرمينية واحدة من أهم المشاكل التي واجهت الدولة العثمانية منذ أواخر القرن التاسع عشر، كونها تمثل صورة صادقة للصراع الديني والمذهبي والقومي في الدولة، فخضع الأرمن للسيطرة العثمانية منذ ١٥٢٠م، وتحولت أراضيهم إلى مسرح دموى للصراعات والحروب بين القوى الثلاث الرئيسية في المنطقة وهي الأتراك العثمانيون والفرس الصفويون والروس، ومن جراء هذا عاش الأرمن على طول القرون الثلاثة اللاحقة في مصائب ومحن كثيرة.

على الرغم من ذلك كانت مواقف الأرمن من الدولة العثمانية إيجابية في معظم الوقت، حتى أن البعض منهم اعتنق الدين الإسلامي، وكانوا في كل الأحوال مؤيدين للعثمانيين ورافضين لدعوات بطرس الأكبر و كاترين الثانية، الرامية لإثارة النعرة القومية المتطرفة بينهم.

واستمر عهد المودة بين الأرمن والعثمانيين لقرون عدة؛ إلا أن الأمر بدأت تطرأ عليه رياح التغيير مع بدايات حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، حيث ظهرت القضية الأرمينية لأول مرة عام ١٨٧٨ بعد معاهدة برلين، حينما شارك وفدًا أرمينيًا مطالبًا بقيام نظام حكم ذاتي؛ الأمر الذي استغله الروس للتدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية.

وخلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٨) حمل العديد من الأرمن السلاح إلى جانب دول الوفاق لاسيما روسيا، أملاً منهم لنيل أهدافهم في الحرية والاستقلال، وحينما خسر الجيش العثماني في القفقاس ارجع تلك الهزيمة في المقام الأول لمساعدة الأرمن للروس، فمن ثم أصدرت الحكومة العثمانية قرارها بتهجيرهم وإعادة توطينهم في الشام والعراق ابتداءً من ربيع ١٩١٥

(*) باحث ماجستير – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: "حرب الاستقلال العثمانية (١٩١٩- ١٩٢٣م)". وتحت إشراف: أ.د/ أنتونى سوريال عبد السيد - كلية الآداب- جامعة سوهاج & د. صبرى توفيق همام – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. حمادة وهبة مسعد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

إلى أواخر ١٩١٦، فحدث لهم أثناء تهجيرهم العديد من الانتهاكات والمآسي من قتل وسرقة واغتصاب من قبل بعض الأهالي وبعض موظفي الحكومة العثمانية، فضلاً عن عوامل الطبيعة من برد وجوع ومرض، وكان ما حدث لهم من قبل الأهالي انتقامًا مما فعله أقرانهم من انضمامهم للروس ضد الدولة التي عاشوا في كنفها قرون آمنين.

لم يكن للدول الكبرى موقف واضح من مسألة الأرمن قبل الحرب العالمية الأولى، بل أنها تعاملت معها بحسب مصالحها؛ ولكن الحلفاء وجدوا في المسألة الأرمينية مادة دعائية ضد الدولة العثمانية خلال الحرب واستخدموها استخداما يخدم مصالحهم وحربهم الدائرة؛ مما شجع الأرمن على الاستمرار في تمردهم والمطالبة بإنشاء دولة مستقلة لهم، سارعوا إلى إعلان استقلالها قرب نهاية الحرب في عام ١٩١٨.

الأرمن والدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨):

كان الأرمن إحدى الأقليات التي ضمتها الدولة العثمانية، لكنها كانت أقلية متميزة، إذ عرفت بـ " الأمة المخلصة" مللت صادقة"، نظراً للمكانة التي تبوأتها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبدأ الكيان الرسمي للأمة الأرمينية بالفرمان السلطاني الذي أصدره " محمد الفاتح" عام ١٤٦١ بإنشاء البطريركية الأرمينية في العاصمة العثمانية الجديدة " استانبول"([1]). استمر عهد المودة بين الأرمن والعثمانيين لقرون عدة، إلا أن الأمر بدأت تطرأ عليه رياح التغيير مع بدايات حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)([*])، وظهر ذلك من خلال قيام الأرمن ببعض العصيانات والتمردات التي قام بها الأرمن في بعض مدن الأناضول، مما دفع السلطات العثمانية للرد عليها.

([1]) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مذابح الأرمن ضد الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ٢٠١٦، ص ٥، ٦.

([*]) ولدت القضية الأرمينية في الدولة العثمانية بموجب المادة (٦١) من معاهدة برلين عام ١٨٧٨ التي نصت على " أن يتعهد الباب العالي، وبدون أي تأخير بإدخال الإصلاحات والتحسينات التي تستلزمها المتطلبات المحلية في الولايات التي يقطنها الأرمن، وضمان أمنهم تجاه الجراكسة والأكراد، كما يتعين على الباب العالي من حين لآخر أن يحيط القوى الكبرى التي تقوم بالإشراف على تنفيذ الإصلاحات علماً بأي أمر يتعلق بذلك" إلا أن الإدارة العثمانية لم تنفذ ما وعدت به من إصلاحات، وانشغال الدول الكبرى عن مراقبة تنفيذ المادة (٦١) وعن الاهتمام بالقضية الأرمينية؛ مما أدى إلى انتهاج عدد ليس بالقليل من الأرمن العثمانيين الدروب الإرهابية ومن ثم ميلاد التنظيمات الثورية الأرمينية التي قام

انضمام الأرمن للروس ضد العثمانيين:

لم يصل الأمر إلى ذروته مثلما حدث خلال الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨) . بينما كانت الحرب وشيكة الوقوع، حث الطاشناقيون ورجال الدين الأرمن بني جلدتهم كي يستجيبوا تماماً لأوامر التعبئة العثمانية، عندئذ أنصرف الأرمن في صفوف الجيش العثماني (٦٠ ألفاً)، وقدم الزعماء الطشناقيون تعهدات متكررة للاتحاديين على إخلاص الأرمن؛ بيد أن مكنونات الأرمن في سائر الدولة كانت تأمل انتصاراً روسياً ربما يضع حداً لاضطهاداتهم؛ ولكنهم لم يعبرو علانية عن مشاعرهم وآثرو الفرار من الثكنات العثمانية في حالات متكررة([١]).

عندما بدأ الروس عدوانهم باجتياز الحدود العثمانية شرق الأناضول، تولى أنور باشا وزير الحربية قيادة الجيش الثالث في ٢١ ديسمبر ١٩١٤؛ مستهدفاً غزو عثماني لمنطقة القوقاز([٢])؛ إلا أن العثمانيين تلقوا هزيمة فادحة في " صاري قامش"، أجبرتهم على التراجع أمام الضغط الروسي([٣])، وتشير الرسائل المتبادلة بين السفير الأمريكي في الآستانة ووزير خارجيته، أن النصر الروسي يرجع بالدرجة الأولى إلى المساعدة الأرمينية للروس([٤]).

انخرط الأرمن في صفوف الجيش الروسي، وبلغوا حوالى ١٢٠ ألفاً، كما تطوع الأرمن الروس لمساعدة القوات الروسية وإرشادهم عبر الجبال الأرمينية في جبهة القوقاز، وهذا ما لم يفعله الأرمن العثمانيون، واستغل الاتحاديون وجود الأرمن الروس المتطوعين يقاتلون في الجيش الروسي، واتهموا الأرمن

أعضائها بعدد من المظاهرات والانتفاضات والاغتيالات في الولايات الأرمينية والعاصمة العثمانية؛ قابلها الباب العالي بسلسلة من التنكيلات والمصادرات والمحاكمات. انظر: محمد رفعت الإمام: رؤية الغرب لعلاقة الدين بمذابح الأرمن العثمانيين(١٨٩٤-١٨٩٦)بحث منشور بحوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، بكلية آداب القاهرة، الحولية السابعة، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ/ أبريل ٢٠٠٨، ص٧.

([١]) محمد رفعت الإمام: القضية الأرمينية في الدولة العثمانية (١٨٧٨-١٩٢٣)، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٩.

([٢]) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ص: ١٦٣٢- ١٦٣٤.

([3])Taylor: A.G.P; the first world war, London, 1957,,p.78-79.

([4])F.R.U.S: the lansing papers (1914-1920)vol.I, Washington ton,1939,p.758.

العثمانيون بالخيانة العظمى؛ لأنهم لم يتطوعوا في جيشهم شأن أقرانهم الروس، ولم يتعاطفوا مع الدولة العثمانية، بل أنضم بعضهم إلى روسيا([1]).

الحكومية العثمانية وتهجير الأرمن:

كان الرد العثماني على الثورة الأرمينية لا يختلف كثيراً عن رد حكومات القرن العشرين الأخرى- التي تواجهها حرب عصابات، وهو عزل العصابات عن الدعم المحلي بالتخلص من المناصرين المحليين، فقرر العثمانيون اتخاذ إجراء جذري، فصدرت الأوامر الأولى بهذا الشأن في ٢٦ أبريل عام ١٩١٥ بتهجر الأرمن، وكان الهدف من هذا القرار العثماني، تخفيف كثافة الأرمن وإبقائهم بعيدين عن المناطق العسكرية والمعسكرات المهمة، فكانت نيات استانبول واضحة، وهي نقل وإعادة توطين الأرمن سلميًا([2]).

ويدلل على نيات الحكومة العثمانية، ما جاء في خطاب طلعت باشا الذي أرسله إلى " ارضروم" بتاريخ ٤ يونيه ١٩١٥، بخصوص ضرورة حماية الأرمن المرحلين في الطرقات والمحافظة عليهم، ومعاقبة كل من يحاول الهجوم عليهم وإيذائهم، وذكر في خطابه أنه أرسل هذا الأمر أيضاً إلى ديار بكر ومعمورة العزيز وبتليس([3]).

هكذا وضع أمر حماية أرواح الأرمن على عاتق الإدارات المحلية التي كانت تواجه حرب عصابات مع الثوريين الأرمن وحرب تقليدية مع الروس في شرق الأناضول، فكانوا بين خيارات شديدة الصعوبة؛ إلا أنهم وجدوا من الحماقة إرسال ما لديهم من قوات للدفاع عن الأرمن وحمايتهم في الطرق، وإفساح المجال لأرمن آخرين لمهاجمتهم، مما أدى إلى ترك الكثير من قوات الحماية المحلية للأرمن في منتصف رحلتهم([4])، ومن هنا وقع للأرمن ما وقع من نهب وسلب وقتل في بعض الأحيان وهلاك الكثير منهم على أيدي الأهالي الغاضبين وعصابات الطرق وعوامل الطبيعة والجوع والمرض. وقد شارك

([1]) محمد رفعت الإمام: القضية الأرمينية....، ص ٥٩، ٦٠.

([2]) جستين مكارثي: الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين (١٨٢١-١٩٢٢)، ترجمة: فريد الغزي، جمعية أتراك السعودية، د.ت، ص ٢٠٩، ٢١٠.

([3])BoA,DH,SFR,54,10.

([4]) جستين مكارثي: مرجع سابق، ص٢١٠.

بعض الموظفين العثمانيين في سرقة الأرمن وأحياناً في قتلهم، ولما وصل ذلك إلى علم الحكومة العثمانية، قامت على الفور بمحاكمتهم([1]).

أصبح إذاً من الأمور المستحيلة أو الصعبة ا لتي واجهت الاتحاديين خلال معارك الجبهة الشرقية مع الروس، نقل سكان المناطق الأرمينية في ولايات الشرق وقليقيا الغربية إلى المناطق الداخلية في بلاد الشام وبلاد العراق؛ بهدف حماية السكان المدنيين وحماية القوات المسلحة من خيانة محتملة من جانب العناصر الموالية للروس([2]).

وتشير وثائق أرشيف مجلس الوزراء العثماني خلال الفترة (٣ مارس ١٩١٥- ٣ يناير ١٩١٧) إلى ما فعله الأرمن تجاه العثمانيين في مدن شرق الأناضول من مذابح واضطهادات وأعمال الاغتصاب والتخريب في مدن قارص وأردهان وفان وبتليس وديار بكر وطربزون وبايزيد وهيزان وتارما، ويقدر عدد الضحايا من السكان المسلمين المدنيين فقط طبقاً لهذه الوثائق ما يزيد على ٥٠٠,٠٠٠ نسمة([3]).

كما توضح كذلك بعض قرارات الحكومة العثمانية ما قامت به عصابات الأرمن من أعمال تخريب واسعة النطاق لمرافق الدولة في مدن عدة، ومن تلك القرارات، قرار " طلعت باشا" بشأن منع تعرض الأرمن لمكاتب البريد في سيواسي بتاريخ ٢٠ مايو ١٩١٦([4])، ويشير أمر صادر من قبل " المفتش العام للمخابرات وقطاع الاتصالات العثمانية" إلى القيادة العليا في مدينة " صامسون" بإصلاح خطوط التلغراف التي قطعتها عصابات الأرمن والتي تمتد بين مدن " أقجاي" و"كوردون" و " قارص" وبين " أونيا" و" تيرما"([5]).

تعرض المرحلون من الأرمن لعمليات تعذيب وقتل في الوقت الذي كانت تجرى فيه حرب عصابات مع جماعات الأرمن المسلحة وتعقب فلولهم، وفاق من قتل وشرد من المسلمين القدر الذي قتل وشرد من الأرمن، ولكن هؤلاء

([1]) نفسه، ص ٢١١، ٢١٢.

([2]) محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٤٧.

([3]) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مرجع سابق، ص ص: ٢٢-٥٦.

([4])BOA,DH,sFR,54,153.

([5])- (BOA,DH,sFR,79-A/139.

بالغوا في هذه المذابح وجرى الغرب على استخدامها كمادة للدعاية حتى اليوم، وكثير منهم حريض على إخفاء الحقيقية وعدم الإشارة إليها([1])، وحقيقة الأمر أن معظم الكتابات التي تناولت المسألة الأرمينية خلال الحرب العالمية الأولى، تصف الأمر على أنه " مذبحة جماعية للأرمن" وأن الاتحاديين ارتكبوا أول إبادة عرقية جماعية Genocide في القرن العشرين باغتيالهم أمة الأرمن مع سبق الإصرار والترصد([2]).

الموقف الدولي من القضية الأرمينية خلال الحرب العالمية الأولى:

هيأت المسألة الأرمينية للدول الحليفة مادة دعائية مفيدة ومؤثرة إلى الحد الذي أقلق السفير الألماني والنمساوي، خاصة بعد تقرير لجنة التحقيق التي أرسلها الحلفاء في (١٩١٥ – ١٩١٦)، وكانت برئاسة المؤرخ والسياسي " جيمس برايس" والذي وصف الأمر على أنه إبادة جماعية متعمدة، إلا أن هذا التقرير به انحيازاً واضحاً فهو تقريرا مشوهاً، باعتراف المؤرخ " أرنولد توينبي" ([*]) الذي كان أحد مساعدي برايس في لجنة التحقيق، إذ قال :" إن التقرير قصد به خدمة الدعاية البريطانية وأهدافها السياسية"([3]).

كما استخدم الغرب ما حدث للأرمن، سلاحاً مسلطاً على الدولة العثمانية، فانهالت الكتابات في الصحف الغربية ضد العثمانيين المجرمين في حق الأرمن، فنشرت النيويورك تايمز في إحدى التقارير أن عدد القتلى من الأرمن بين عامي (١٩١٥- ١٩١٦) بلغ مليون ونصف، وقد ألقت باللوم الشديد على السياسة الألمانية التي لم تحرك ساكناً للدفاع عن أمة الأرمن([4])، كما وصفت "

([1]) يلماز أزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج٢، استانبول، ١٩٨٨، ص ص :٢٤٠-٢٤٤.

([2])محمد رفعت الإمام : القضية الأرمينية..، ص ٦٧، ٦٨؛ نعيم الموسى ، خليل اليافى: نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثمانى، ط١ ،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٥، ص٦٧ ؛ يوسف الجهمانى : تركيا والأرمن ،ط١،دار حوران للطباعة والنشر ،دمشق ،٢٠٠١ ، ص ص : ٣٣- ٥٣.

([*]) وعمل المؤرخ أرنولد توينبي مراسلاً صحفياً لجريدة " وول ستريت" في تركيا خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وخلال حرب الاستقلال التركية(١٩١٩-١٩٢٣).

([3]) دافيد فرومكين : سلام ما بعده سلام "ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤- ١٩٢٢"، ترجمة: أسعد كامل إلياس، ط١، دار الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩٢، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

([4])The Newyork Times, August 21,1915.

الإندبندنت" على لسان السفير الأمريكي في الآستانة " هنري مورجنثاو" الأمر على أنه مأساة إنسانية ومجازر للأطفال والشيوخ والنساء من الأرمن([1]).

وسارت الصحف الأمريكية قدماً في نقدها اللاذع ومعاداتها للدولة العثمانية، مصورة تلك الدولة على أنها مستنقعاً للخطيئة والآثام، مما حدا بالسفير العثماني " أحمد رستم" إلى توجيه النقد للسياسة الأمريكية، ولتلك الكتابات المهينة لدولته؛ الأمر الذي أدى إلى طلب الإدارة الأمريكية من السفير الاعتذار الفوري؛ إلا أنه رفض وفضل الاستقالة([2]).

احتج كذلك المكتب الأمريكي للإرساليات وطالب من الرئيس " ولسن" بذل ما في وسعه لمساعدة الأرمن، واحتج كذلك " هنري مورجنثاو" بشدة لدى السلطات العثمانية وحاول إقناعهم بإنهاء الممارسات القاسية؛ إلا أنه أبلغ أن الأرمن تم تحذيرهم من مغبة هجومهم على الترك، وأن هذا الأمر شأن من الشئون الداخلية([3])، وتعكس وثائق الخارجية الأمريكية مدى حرص الولايات المتحدة على إنهاء معاناة الأرمن خلال هذه الظروف([4])، ولم يستخدم الحلفاء فقط مسألة الأرمن كدعاية ضد الدولة العثمانية، بل إن الشريف حسين بن علي استخدمها أيضاً كدعاية لثورته وكسلاحاً ضد العثمانيين، حينما أصدر منشوراً في ١٨ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م بضرورة الحفاظ على الأرمن، فند فيه حقوق أهل الذمة وحرمة أموالهم ودمائهم([5])، وذلك في الغالب كان لكسب ود الحلفاء.

الوجه الآخر من القضية الأرمينية:

ويستند أصحاب وجهة نظر الإبادة الجماعية إلى تقرير منسوب إلى " طلعت باشا" متعلق بمسألة تهجير الأرمن يعرف " بالكتاب الأسود" ، وقد نشر هذا التقرير للمرة الأولى الصحفي والمؤرخ التركي " مراد بردقجي" في عام ٢٠٠٨م، وقال أنه حصل عليه من أرملته قبل وفاتها في عام ١٩٨٢، وأعتمد

([1])The Independent, FEBRuRy 28,1920.

([2])John.A.De Novo: American InteresTs and policies in the middle East (1900-1939), U.S.A,1953,p.93.

([3]) فاروق جاويش: موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المجد للطباعة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٢؛

John A.De Novo: op.cit, pp. 102- 104.

([4])F.R.U.S, 857.4015/103;857.4016/103.

([5]) نعيم اليافي، خليل الموسي: مرجع سابق، ص ٦٨، ٦٩.

التقرير على دراسة معدة بين عامي ١٩١٤و ١٩١٧ تقدم بياناً تفصيلياً عن عدد أرمن كل مقاطعة قبل وبعد التهجير، وطبقاً لهذا التقرير كان نحو ١١٥٠,٠٠٠ أرمنى أو ٧٧% من الأرمن قد فارقوا الحياة بين عامي ١٩١٤، ١٩١٨([1]).

إلا أن التقرير لا يحمل أسم جهة معينة وقيل أنه من أوراق طلعت باشا الخاصة، كما أن المصطلح المستخدم فيه، مثل الكثير من الوثائق التي يعتمد عليها أصحاب هذا الرأي هو sefkiyat "إرسال بسرعة" أو طرد، وإما Iskan " إسكان" ولم يذكر فيه قتل أو إبادة.

وربما أعتبر البعض اعتراف أنور باشا وجمال باشا بما جرى للأرمن من أذى أثناء عملية التهجير، دليل إدانة للإدارة العثمانية؛ إلا أن أنور باشا ذكر هذا مفاخراً به، لأنه أعتبر الأمر على أنه دفاعاً عن الوطن ضد من خانوه، كما أن جمال باشا حمل السياسة الروسية وخيانة الأرمن وحركاتهم العصيانية المسلحة مسئولية ما حدث للأرمن([2])

وكثير من الوثائق التي ينسبها بعض الباحثين والمهتمين بهذا الأمر، لطلعت باشا، لا تحمل أرقاماً أو أسماءً أو حتى تاريخاً، والتي يذكر من جملة نصوصها " أن حق الأرمن في العيش داخل الدولة العثمانية قد انتهى"، وما يسير على نفس النهج([3]). وتؤكد كتابات العديد من المؤرخين على أن هناك إبادة للمسلمين في مدن شرق الأناضول أرتكبها الأرمن والجيش الروسي وأن ما حدث للمسلمين ربما فاق ما حدث للأرمن.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الأمريكي " جستين مكارثي":" مات في مقاطعات فان وبتليس وأرضروم على الأقل ٤٠% من المسلمين خلال بداية ونهاية الحرب العالمية، وبالطبع لم يكن المسلمين فقط هم الذين ماتوا، فكان معدل موت الأرمن ضخماً، ولكن العالم لديه معرفة كبيرة بالمعاناة الأرمينية،

([1]) آراصرفيان: تقرير طلعت باشا حول الإبادة الأرمينية، ترجمة: جوزف كالوستيان، مؤسسة كوميداس، لندن، ٢٠١١، ص ٥، ٦، ٢٣.

([2]) مذكرات جمال باشا: تعريب: علي أحمد شكري، القاهرة، ١٩٢٣، ص ص ٥٥٢- ٥٥٤، فتحي رضوان: مصطفى كمال أتاتورك، مطابع المستقبل بالفجالة، القاهرة، د.ت، ص ٦٨.

([3]) آرصرفيان: مرجع سابق، ص ٥، ١٤، ٦٦، ٦٧، نعيم اليافي وخليل الموسى:، ص ٨٧، ٨٨؛ مذكرات سفير أمريكا فى الآستانة، تعريب: فؤاد صروف، مطبعة المقطم، مصر، ١٩٢٣، ص ص: ٩٩- ١٠٦.

وحان الوقت لكي يضع العالم في اعتباره معاناة المسلمين في الشرق والرعب الذي تعرضوا له مثل الأرمن"([1])، ويقول " صاموبل ويمز" samul weems:" الألاف من الأرمن قد ماتوا أثناء الحرب، كما قد حدث للأتراك بشكل أكثر... الحقيقة الخالصة أن عدة آلاف من الأتراك تعرضوا لمذابح رهيبة حيث كان الأرمن قد انضموا إلى القوات الروسية"([2])، ويذكر المؤرخ التركي" عزمي سوسلو" ذلك قائلا:" يوجد لدينا حتى الآن مقابر جماعية تبلغ أكثر من مائة مقبرة للأتراك قتلوا على يد الأرمن في المنطقة الممتدة عبر موش وبتليس وفان وقارص وأرضروم حتى أنقرة وقيصري وسيواس، وتم استخراج آلاف الجثث من المقابر الخمسة الأولى فقط التي تم فتحها"([3]).

وهذا ما يؤكد إلى حد كبيرما قام به الأرمن ضد المسلمين في مدن شرق الأناضول، وأكده أيضا تقرير أحد الضباط الروس الذين قاتلوا بصحبة الأرمن في تلك الجبهة، وهو الليفتانت كولونيل" توارد خليبوف"، حيث وصف ما فعله الأرمن ضد المسلمين بالعمل الوحشي اللاإنساني، كما ذكر قتلهم لآلاف المسلمين في أرضروم([4])، وكذلك تقرير لجنة الإغاثة الأمريكية المعروف بتقرير " نايلز وسزر لاند" ، والذي وصفا فيه الدمار والخراب والقتل الذي حل بالمسلمين الأتراك مثلما حل بالأرمن في تلك المناطق([5]).

كما أن عصيان الأرمن وخيانتهم اثبته حتى بعض المؤرخين المدافعين عن قضيتهم، فيذكر " واهاكان دادريان"([6]) و " تانر آ كجام" ([7])، أن الأرمن كانوا يدفعون ليس ثمن خيانتهم فحسب، بل وخيانة بقية الشعوب المسيحية التي تخلت عن الإمبراطورية العثمانية؛ رغم أنهم يشيروا إلى أن أعمال التمرد

([1]) جستين مكارثي: مرجع سابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

([2])Samuel A .weems: Armenia: The Great Deception, secrets of Christian terrorists state, U.S.A,2002,p.27.

([3])Azmi, Suslu: Ruslar Gore Ermanilerin Turklere Yaptiklare mezalim, Ankara,1987,s.99-100.

([4]) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مرجع سابق، ص ص ٢١١-٣٠١.

([5]) نفسه، ص ص: ٣٠٥-٣٣٦.

([6]) واهاكان دادريان: دور الأطباء الأتراك في المذابح الأرمينية، ترجمة: الكسندر كاشيشيان، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٥، ص ٨٢، ٨٣.

([7]) تانير آكجام: الهوية القومية التركية والقضية الأرمينية، ترجمة: الكسندر كاشيشيان، منشورات الجمعية الخيرية الأرمينية، حلب، ١٩٩٨، ص ص: ٥٠-٥٤.

والعصيان التي شنها الأرمن كانت محدودة ولم تتجاوز نطاقاً جغرافياً محدوداً جداً([1]) . وتصدر الحكومة التركية من حين لآخر بعض مقتنيات الأرشيف التركي الخاصة بهذه القضية، حيث بدأت في نشر وثائق المسألة الأرمينية منذ عام ١٩٩٤، وكان آخرها المجموعة التي نشرت عام ٢٠١٥م، ومن بين هذه المجموعة الوثائقية وثيقة مؤرخة بعام ١٩١٦، تنص على منحة السلطان العثماني" محمد رشاد الخامس" لمستشفى الأرمن باستانبول، وبلغت ٤٠٠,٠٠٠ ليرة([2])،أليس في هذا الأمر دليلاً على أن من حافظ من الأرمن على علاقته الودية بالدولة ظل يحظى بعطفها حتى في أحلك الأوقات ؟

خلاصة الأمر، أن بعض عصابات الأرمن قامت بعمليات عدائية ضد الدولة العثمانية، وانضموا لإعداء الدولة في وقت كانت الرياح تعصف بها من كل جانب، فدفع ذلك الاتحاديين إلى إصدار قرار تهجيرهم من شرق الأناضول إلى الشام والعراق، وقد حدث للأرمن الكثير من المآسي من قتل وسرقة واغتصاب أثناء عملية التهجير، وهذا أمر لا ينكر، وحدث هذا في بعض الأحيان من قبل موظفيين رسميين بالدولة، مما أستوجب عقاب الحكومة لهم؛ ولكن في الوقت ذاته قام الأرمن بعمليات إبادة لمسلمي شرق الأناضول، بالتعاون مع الروس، كما قاموا بأعمال تدمير للقرى المسلمة في تلك المناطق، وشهد بهذا الكثير، كما كان للأرمن أطماع في الدولة العثمانية، يدلل عليها أنهم سارعوا إلى إعلان قيام دولة مستقلة في عام ١٩١٨ قرب نهاية الحرب، حينما انكسر العثمانيون.

كما أن مضمون الوثائق العثمانية التي أشرنا إليها تثبت إلى حد كبير أن ما قصدته الإدارة العثمانية هو تهجير الأرمن وإعادة توطينهم؛ لضرورة عسكرية، وهذا ما فعله العثمانيون مع بعض العشائر الكردية المسلمة، حينما اتصل بعض زعمائها بالروس وتعاونوا معهم، وما حدث من انتهاكات في حق الأرمن خلال رحلتهم لم يكن عملاً حكومياً منظماً وإنما حدث في الغالب من قبل بعض الأهالي الغاضبين وعصابات الطرق رداً على ما فعله أقرانهم، وبفعل عوامل الطبيعة من برد وجوع ومرض، ومن ثم أصبحت قضية الأرمن إحدى قضايا الدولة العثمانية

([1])- حمبيد بوزرسلان: تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة: حسين عمر، المركز الثقافي العربي، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٥، ٣٦.

([2]) BOA,MV,202/48.

خلال مؤتمر الصلح وخلال حرب الاستقلال (١٩١٩- ١٩٢٣م)، بل وما زالت المسألة الأرمينية تستخدم كورقة مساومة سياسية(*) للتأثير على السياسة التركية من حين لآخر.

الخاتمة

من خلال دراستنا لعلاقة الأرمن بالدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)، وإلقاء الضوء على مختلف الجوانب في تلك العلاقة، نخلص إلى عدة نتائج هي:

- ظل أرمن الدولة العثمانية يعيشون في أمن وسلام طوال قرون عدة، لم يتعرض أحد لهم بأدنى أنواع الأذى.
- قامت بعض عصابات الأرمن بعمليات عدائية ضد الدولة العثمانية وانضموا لأعداء الدولة في وقت كانت الرياح تعصف بها من كل جانب؛ مما دفع الاتحاديين الى إصدار قرارهم بتهجير الأرمن من شرق الأناضول إلى الشام والعراق.
- تثبت الوثائق العثمانية أن ما قصدته الإدارة العثمانية هو تهجير الأرمن وإعادة توطينهم؛ لضرورة عسكرية، وهذا ما فعله العثمانيون مع بعض العشائر الكردية المسلمة، حينما اتصل بعض زعمائها بالروس وتحالفوا معهم؛ فالأمر لم يكن اضطهاد على عقيدة.
- تعرض الأرمن للكثير من المآسي من قتل وسرقة واغتصاب أثناء عملية التهجير، وحدث هذا في بعض الأحيان من قبل موظفين رسميين للدولة ولكنها كانت أعمال فردية؛ وقامت الدولة بمعاقبة هؤلاء.

(*) ومن أمثلة ذلك ما حدث من أزمة في العلاقات (التركية – الأمريكية) في أكتوبر ٢٠٠٠، حينما أقدم الكونجرس الأمريكي على إقرار المشروع الذي تمت المصادقة عليه من قبل لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب، والذي يحث " كلينتون" على تصنيف الإجلاء الإجباري ومقتل ١,٥ مليون أرميني بين عام ١٩١٥ وعام ١٩٢٣ على أنه مجزرة جماعية، مما دفع تركيا إلى المساومة، وفي عملية غير مسبوقة أرسلت تركيا طائرتين كسراً للحظر الجوي المفروض على العراق من قبل الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها، ، كما أعلنت عن استعدادها لفتح خطوط السكة الحديدية وتوسيع الصادرات مع العراق، كما دعت البرلمان التركي لمناقشة موضوع" استخدام قاعدة " إنجرليك" من قبل الإدارة الأمريكية ضد العراق، الأمر الذي أدى إلى تأجيل موضوع الأرمن من قبل الإدارة الأمريكية. للمزيد أنظر: محمود سالم السامرائي: المساومة في السياسة الخارجية التركية، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص٩٤.

- قام الأرمن بعمليات إبادة واسعة لمسلمي شرق الأناضول بالتعاون مع الروس، كما قاموا بعمليات تدمير للقرى المسلمة في تلك المناطق.
- لم يكن ما حدث للأرمن خلال رحلتهم من انتهاكات عملاً حكوميًا منظمًا، وإنما حدث في الغالب من قبل بعض الأهالي الغاضبين وعصابات الطرق؛ ردًا على ما فعله أقرانهم، فضلاً عن عوامل الطبيعة من برد وجوع ومرض.
- تأكدت أطماع الأرمن في الدولة العثمانية عمليًا، بإعلان قيام دولة مستقلة في عام ١٩١٨ قرب نهاية الحرب عندما انكسر العثمانيون.
- استخدم الحلفاء ما حدث للأرمن كمادة دعائية لخدمة أهدافهم السياسية أثناء الحرب؛ بل وامتد الأمر بعد ذلك لعقود طويلة حتى وقتنا الحاضر، فما زالت المسألة الأرمينية تستخدم كورقة مساومة سياسية للتأثير على السياسة التركية من وقت لآخر.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

وثائق غير منشورة:

BASBAKANLIK OsmanLi Arsivi (BOA)

أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي باستنبول

وفيما يلي عرض لتصنيف الوثائق المستخدمة من الأرشيف:

BOA, DH, SFR, 54, 10.

BOA, DH, SFR, 54, 153.

DOA, SFR, 79- A/ 139.

وثائق منشورة:

أ] وثائق باللغة العربية

- أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مذابح الأرمن ضد الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ٢٠١٦.

- أراصرفيان: تقرير طلعت باشا حول الإبادة الأرمينية، ترجمة: جوزيف كالوستيان، مؤسسة كوميداس، لندن، ٢٠١١.

ب] وثائق باللغة التركية العثمانية:

BOA, mv/ 202/ 48.

ج] وثائق باللغة الإنجليزية:

وثائق وزارة الخارجية الأمريكية F.R.U.S

F.R.U.S, 857. 4015 / 103.

F.R.U.S, 857. 4016/ 103.

F.R.U.S; the lansing papers (1919- 1920) vol. 1, Washington, 1939.

ثانيًا: المذكرات الشخصية:

- مذكرات جمال باشا: تعريب: علي أحمد شكري، القاهرة، ١٩٢٣.

- مذكرات سفير أمريكا في الآستانة، تعريب: فؤاد صروف، مطبعة المقطم، مصر، ١٩٢٣.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

- تانير آكجام: الهوية القومية التركية والقضية الأرمينية، ترجمة: الكسندر كاشيشيان، منشورات الجمعية الخيرية الأرمينية، حلب، ١٩٩٨.

- جستين مكارثي: الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين، ١٨٢١- ١٩٢٢، ترجمة: فريد الغزي، جمعية أتراك السعودية، د.ت.

- حميد بوزرسلان: تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة: حسين عمر، المركز الثقافي العربي، القاهرة، ٢٠٠٧.

- دافيد فرومكين: سلام ما بعده سلام ولادة الشرق الأوسط، ١٩١٤- ١٩٢٢، ترجمة: أسعد كامل إلياس، ط١، دار الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩٢م.

- عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.

- فاروق جاويش: موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المجد للطباعة، القاهرة، ١٩٩٥.

- فتحي رضوان، مصطفى كمال أتاتورك: مطابع المستقبل بالفجالة، القاهرة، د.ت.

- محمد رفعت الإمام: القضية الأرمينية في الدولة العثمانية ١٨٧٨- ١٩٢٣، القاهرة، ٢٠٠٢.

- محمد سهيل طقوش: العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، ١٩٩٥.

- نعيم الموسي؛ خليل اليافى: نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٥.

- واهاكان دادريان: دور الأطباء الأتراك في المذابح الأرمينية، ترجمة: الكسندر كاشيشيان، ط١، دمشق، ١٩٩٥.
- يلماز أزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج٢، استانبول، ١٩٨٨.
- يوسف الجهماني: تركيا والأرمن، ط١، دار حوران للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

أ] مراجع باللغة الإنجليزية:

- John. A.de Novo; American interests and polices in the middle east (1900- 1939), U.S.A, 1953.
- Samuel A. Weems; Armenia: the Great Deception, secrets of Christian terrorists state, U.S.A, 2002.
- Taylor, A.J.P; the first world war, London, 1957.

ب] مراجع باللغة التركية:

- Azmi, Suslu, Ruslar Ermanilerin Turklere Yaptiklare mezalim, Ankera, 1987.

خامسًا: أبحاث منشورة:

- محمد رفعت الإمام: رؤية الغرب لعلاقة الدين بمذابح الأرمن العثمانيين (١٨٩٤- ١٩٨٦)، بحث منشور بحوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية آداب القاهرة، الحولية السابعة، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ/ أبريل ٢٠٠٨م.
- محمود سالم السامرائي: المساومة في السياسة الخارجية التركية، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، ٢٠١٠م.

سادسًا: الدوريات:

- The independent
- the New york Times.